بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة: 12 محرم 1432 هجري إعداد: خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

وفق: 2010/12/17م www.al-msjd-alaqsa.com

دخول آدم وحواء الجنة وخروجهما منها – المعصية – 3

نعلم أن إبليس عصى الله بعدم السجود، ونعلم أن آدم عصى الله عندما أكل من الشجرة، فأي المعصيتين كانت أكبر، معصية آدم أم معصية إبليس، مع علمنا أن إبليس لما عصى الله بعدم السجود، كان لا زال بإمكانه أن يدخل الجنة، ون يوسوس لآدم وحواء للأكل من الشجرة، في حين لما عصى آدم آمر الله، فقد تم إخراجه من المقام ثم تم إخراجه من المكان، فهل هذا يعني أن معصية آدم كانت أكبر من معصية إبليس؟ دعونا نتدرج بنقاط علنا نصل لفهم أفضل للمعصية ومقابله الله لها:–

1. إبليس من الجن، والجن سكنت الأرض قبل الإنسان بألفي عام، وكان طابعها (الإفساد وسفك الدماء)، في هذه المرحلة يُعتقد أن أسم إبليس كان (عزازيل) ويعتقد أن لقبه كان (أبو مرة)، ولنفترض أن هذا الاعتقاد صائب في موضوعنا، فعزازيل كان مؤمناً صالحاً يعبد الله ولا يعصي له أمراً، حتى أنه يُعتقد أنه لم يترك بقعة على وجه الأرض إلا وسجد فيها لله عز وجل، وهكذا جنيٌ واحدٌ صالحٌ مقابل البقية كلها العاصية المفسدة، في اعتقادك ما هو التقدير اللائق لمثل هذا الجني عند الله؟
2. ما نعرفه من أحاديث الرسول وقصص الأنبياء وبالأخص قصة آدم عليه الصلاة والسلام في كتب التفسير، أن الله قد أرسل أربعة فرق من الملائكة قاتلت الجان المفسد والعاصي فقتلت من قتلت والباقي أسرتهم في الجزر البعيدة وفي قيعان

المحيطات وتحت الأرض، الآن لم يبقى إلا عزازيل الصالح العابد، ماذا ستفعل الملائكة بهذا العبد الصالح؟

3. المدة التي عبد عزازيل فيها الله وهو على الأرض غير معروفة، ذلك أننا لا نعرف متى ولد إبليس في صنف الجان، ما نعلمه أن الجان خلق قبل الإنسان بألفي عام، وهذا يقودنا أن نعرف أن أقصى مدة قد تكون لعزازيل على الأرض هي هذه الألفي عام.
4. رفعت الملائكة عزازيل معها إلى السماوات حيث كان ثوابه أن ارتقى في رتبته من (عبد صالح – عزازيل) إلى (طاووس الملائكة).
5. عاش طاووس الملائكة بين الملائكة ومعها وكأنه فرد منها، حتى أن خطاب الله له مع باقي الملائكة كان (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر15: 29)، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الآية تكررت في سورة (ص38: 72) لاحظ كلمة (فقعوا) بصيغة الجمع مع أن الخطاب لنوعين من مخلوقات الله، الملائكة من جهة وطاووس الملائكة (عزازيل) من جهة أخرى. وفي هذه الآيات جاء أمر الله للملائكة ومعها طاووس الملائكة بالسجود لآدم، عندها بدأت علامات الكراهية من (طاووس الملائكة) تظهر لآدم مع أن آدم لم يخلق بعد، على شكل غيرة وحسد وغل.
6. أمر الله الملائكة فأحضروا مادة صنع جسد آدم، أي الطين من الأرض، فسواه عز وجل جسدا من صلصال كالفخار، وفي هذه المرحلة ظهرت على طاووس الملائكة علامات الأذية لآدم حيث أنه كان يحاول أن يلقيه أرضاً فيكسره، ولكنه فشكل، ثم تحولت بأن حاول ثني الملائكة عن النظر له والطواف حوله وتسبيح الله وهي تنظر له، وذلك عندما بدأ يصدر الأصوات من جوفه ليخيف بها الملائكة.

7. لغاية الآن الصورة تبدو كأن عبداً صالح ضَعُفَ إيمانه ونقص، فلعله يستغفر الله، الامتحان الحق سيكون بعد نفخ الروح، فلا زال هناك متسع من الوقت لطاووس الملائكة بالعودة والأوبة والاستغفار لله، نعم فالله يمهل ولكنه لا يهمل.
8. جاءت لحظة الحق، لحظة نفخ الروح في آدم، ونفخت في آدم النفس ونفخت فيه الروح، وصار آدم كائناً حياً يسمع ويرى ويعقل ويتحرك، وجاء أمر الله (وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة2: 34).
9. سجدت الملائكة كلها إلا إبليس لم يسجد، لاحظ أن أداة الاستثناء (إلا) لما جاءت مع إبليس تكفي لتخبرنا أن إبليس لم يسجد، ولكن (إلا إبليس) أتبعها الله ب (أبى) وأتبعها ب (وأستكبر) وأتبعها ب (وكان من الكافرين). على ماذا يدل هذا؟ يدل على أن الله قد طلب من إبليس السجود لآدم أكثر من مرة، أو أنه أتاح له التوبة والعودة بالسجود لآدم مرارا وتكرارا، ولكن النتيجة كانت هي هي، رفض إبليس السجود لآدم.
10. حتى أن الله قد سأل إبليسَ عن سبب السجود يقول عز وجل (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (الأعراف7: 12)، وفي سورة ص (قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَم كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ) (ص38: 75).
11. سبب معصية إبليس لله وعدم سجوده لآدم ظهرت في الحوار بين إبليس وبينه عز وجل في قوله سبحانه وتعالى (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (الأعراف7: 12)، وفي قوله عز وجل (قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَم كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ) (ص38: 75).

12. الآن نتساءل، لماذا كل هذا التهاون مع إبليس؟ لماذا يمهله الله أكثر من مرة؟ لماذا يكرر الله الطلب والخطاب لأحد مخلوقاته؟ لماذا يُخرج اللهُ إبليس من المقام ولا يخرجه من المكان ويصبر على خطأه ليخطئ من جديد حتى يخرجه من المكان؟ والجواب بسيط، ألا يتوافق هذا مع رحمة الله وصفاته بالعفو والمغفرة والمسامحة والإمهال! ستسألني الآن لماذا لم يكن هذا هو الحال مع أدم؟! فأقول لك قارن بين عمل آدم وعمل إبليس في هذه المرحلة، أين عمل آدم؟! نعم لم يكن لآدم عمل بالمقارنة مع إبليس الذي عبد الله ولم يترك بقعة على وجه الأرض إلا وسجد له فيها لله، وهذه هو السبب نفسه الذي جعل الله يعطي إبليس النَظِرَة إلى آخر الدنيا، نعم، لا زال باب التوبة مفتوح أمام إبليس وسيبقى إلى يوم القيامة، حتى أنه يروى أن إبليس طلب من كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسأل له ربه المغفرة، فطلب منه عز وجل أن يسجد لقبر آدم مقابل المغفرة، إلا أن إبليس رفض من جديد قائلاً لم أسجد له حياً أفسجد له ميتاً.

13. لنعد لآدم وحواء مرة أخرى، وننظر، سنجد اولا: أن دخول آدم وحواء للجنة كان بلا عمل بل برحمة الله، وسنجد ثانياً: أن دخول آدم وحواء للجنة كان بشرط، أن لا يأكلا من هذه الشجرة المحددة، فالدخول برحمة الله، أما خروجهما من الجنة فكان بما اكتسبت أيديهما من المعصية، فالله أدخلهما الجنة بلا عمل، وهما أخرجا نفسيهما من الجنة بالمعصية.

14. قد تسألني الآن (هل هذا يعني أن آدم وحواء أخرجانا من الجنة؟ وسأجيبك، بالطبع لا، فأنت لم تدخل الجنة حتى يخرجك آدم منها، صحيح أنك كنت محمول في ظهر أبونا آدم عليه الصلاة والسلام، ولكن لم يقدر الله لك العيش في الجنة حينها، وهذا هو أمر الله.

15. ستسألني الآن، ولكن لو لم يخرج آدم من الجنة لخرجنا من ظهره ووجدنا أنفسنا في الجنة! وسأقول لك وما يدرك؟ كيف تعلم أن الله سيخرجك من ظهر آدم وآدم في الجنة؟ من أخبرك بهذا؟ وما الذي يمنع أن تبقى في ظهره إلى أبد الآبدين فأنت في ظهره ما كان لك إحساس ولا كان لك شعور ولا كنت تدري أين أنت!

16. ولكني سأفترض معك جدلاً أن هذا كان من الممكن أن يحدث، تعال نفترض أن الذرية خرجت من ظهر آدم وهو في الجنة، وأننا جميعنا الآن في الجنة، فماذا سيحدث. تذكر أن الذرية الآن في الجنة بلا عمل، والجنة درجات ومراتب، وأن كل واحد منا قد جلس في مرتبةٍ من مراتب الجنة، ما لا شك فيه، أن الجالس في المرتبة الأدنى سينظر للجالس في المرتبة الأعلى ويقول، يا الله، لما أجلسته في هذا المقام؟ وأجلستني في هذا المقام؟ أهو أفضل مني؟ ماذا فعل ليكون أفضل مني؟

17. حتى لو لم تقل هذا الكلام بصريح العبارة ستكتمه في نفسك كم كتمته الملائكة، وهذا معناه أنك ستعتقد أن الله قد ظلمك!!! وهذا هو الأمر الخطير، أن نعتقد الظلم على الله. أرأيت، لم يكن مقدر لنا دخول الجنة مباشرةً، لأن في هذا حيرة لأنفسنا وعذاب لها، لذلك فقد خلق الله الموت والحياة والسماوات والأرض، وأهبطنا من السماء للأرض لنعمل ونعود للجنة ونجلس في مقاعدنا بناءا على عملنا وفي هذا راحة عظيمة لأنفسنا.

18. وهذا هو السبب نفسه الذي جعل معصية آدم سبباً في خروجه مقامياً ومكانيا بنفس الوقت، لحاجةٍ خدم فيها آدمُ ذريتَه، فخروجه كان مصلحةً للناس أجمعين.

الخلاصة: نحن نؤمن أن الله هو صاحب القدر، وكان من تقدير الله على آدم وعلى إبليس التواجد في الجنة، وكان من تقدير الله وجود الشجرة، وكان من تقدير الله أن يوسوس إبليس لآدم ليأكل من الشجرة، وكل هذا التقدير لخير الإنسان، فالحاجة كانت أن نخرج

من الجنة ونعود لها بعد الإمتحان على الأرض، وكما قلنا فإن فترة الإمتحان على الأرض بسيطة تقرب من ساعتين من زمن الجنة، وكل هذا حتى ترتاح نفوسنا في الجنة في مدة مقدارها (الخلود) الذي لا ممات بعده.

لأي اقتراحات أو استفسارات يمكنك التسجيل في منتدى المسجد الأقصى على عنوانه أسفل الصفحة

www.al-msjd-alqsa.com